تاريخ الحركة الكشفية

أولا: تاريخ الحركة الكشفية الدولية:

إن الحياة الكشفية قديمة قدم التاريخ نفسه، إذ ظهرت منذ وجد الإنسان على الأرض عندما أستغل البيئة المحيطة به بما يحقق حاجاته اليومية، فصنع الفؤوس والمطارق والسكاكين من شظايا الأحجار وأغصان الأشجار، وبنى مساكنه فوق الأشجار مستعملا الألواح والعصي والأشجار بربطها بألياف من جذور النباتات، ومع تطور الحضارات وتوسع مدارك الإنسان وابتكاراته، لكنه بقى معتمداً على البيئة وقام بتكيفها لتحقق متطلباته الحياتية فبدلاً من النوم على الأرض قام بصنع سريراً من أغصان الأشجار والحبال، وهكذا....

أما الإنسان العربي فقد كان له مع البيئة علاقة عميقة وهو يغور في الصحراء المترامية، مواجهاً قسوتها متحملاً شغف العيش فيها منتقلاً وراء الكلأ وعيون الماء، وكان لهذه الحياة الشاقة الأثر الكبير في حياته، فكان بيته عبارة عن خيمة يحملها متى ارتحل وينصبها أينما حل، وكانت القبائل العربية ترسل فرقاً كشفية تستكشف الطرق معتمدة على أثار الأقدام والكثبان الرملية، ومواقع النجوم ، كما أنهم كانوا يرسلون أبناءهم إلى البادية ليتعلموا الفروسية وتتبع الأثر والاسترشاد بالظواهر الطبيعية في تحديد طرق سفرهم، فضلاً عن تعودهم على العيش الصعب وخشونة الحياة، فينشئوا رجالاً أشداء وفرسان صناديد يذودون عن حمى القبيلة ضد الأعداء، ويوفرون لهم الطعام والشراب معتمدين على ما تعلموه من فنون القنص والصيد بملاحظة ما يشاهدونه من ريش الطيور وآثار أقدام الحيوانات وأنواعها.

وظلت القبائل العربية تنهج هذا الأسلوب حتى جاء الإسلام فازدادت أهمية التدريب، وأصبح الشباب والفتية المتدربون المكانة المرموقة في قيادة جيوش الفتوح الإسلامية وظهر منهم أبطال ذوو عبقرية فذة أذهلت العالم بما حققته من إنجازات خالده على مدى الدهر، ويشير التأريخ لهم بالبنان، وقد انتشرت حركة تدريب الفتيان بانتشار الدين الإسلامي في آسيا وأفريقيا وأوربا، ولم يكن الأمر مقتصراً على الأولاد

فقط بل أن الفتيات كان لهن نصيب في هذه الحركات اذ كان يتم تدريبهن على فنون الطهي والخياطة وإسعاف الجرحى ومساعدة المحاربين.

إن تأسيس الحركة الكشفية لم يكن وليد الصدفة، بل هي تلبية لحاجة وضرورة المجتمع الدولي آنذاك وخصوصاً مناداة علماء التربية بالنظريات التربوية الحديثة، وهذا الذي أدى إلى انتشارها في كافة أنحاء العالم، رغم أن مؤسسها لم يكن ينوي أبراز ذاته، ولكنه أطلق فكرته في إطار زمانه ومتطلبات مجتمعه، وهو بذلك سبق عصره بكل معنى الكلمة، إذ كانت له رؤى تتعدى الصفات الخاصة به ككشاف إلى حاجات المجتمع الذي يحيط به، ولذا اختار (بادن باول) حياة الغابات حباً في الطبيعة والعراء، ولإيمانه بفائدة العيش والنشاط في الهواء الطلق، وهي ليست دعوة للانفلات والكسل، بل هي عملية تمرين للتعرف على الطبيعة في أمور العيش والنمو والبناء ضمن الإطار الاجتماعي، في البداية وقبل الحديث عن تطور الحركة الكشفية عالمياً نلقي الضوء على مؤسسها الأول وهو اللورد روبرت ستيفنسون سميث بادن باول.

ولد روبرت بادن باول في٢٢ فبراير سنة ١٨٥٧م بلندن عاصمة بريطانيا، أبوه بروفسور في جامعة أكسفورد توفى وعمر بادن ثلاث سنوات، دخل المدرسة وكان مولع بالنشاطات المدرسية والرياضية وبالرسم والسفرات، بعد أن أكمل دراسته

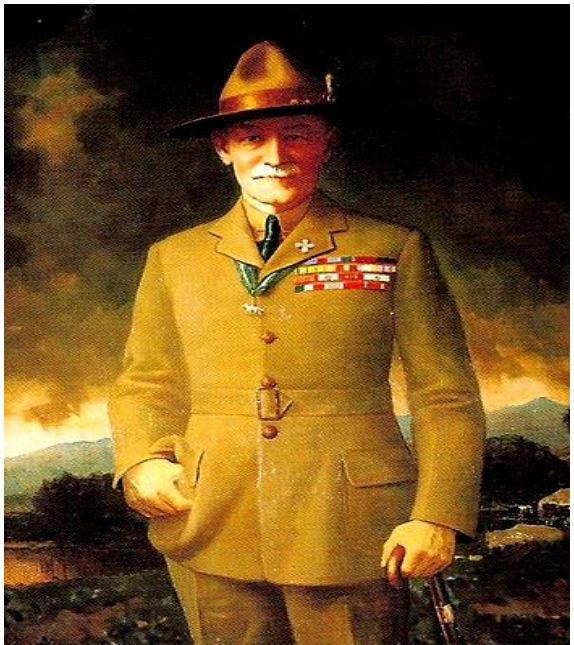

شجعه الدكتور براون مدير المدرسة بدخوله السلك العسكري وتم ذلك بقبوله برتبة ملازم في فـــــوج خياله الثالث عشر.

لقد تمكن بادن باول أثناء خدمته في إفريقيا، من اختبار فائدة الفتيان الصغار أثناء الدفاع عن مافيكنغ عامي ١٨٨٩م و١٩٠٠م، ومافيكنغ هي واحدة من تلك المدن القائمة في سهول أفريقيا الجنوبية الفسيحة سارع بادن إلى توزيع حامياته على المراكز التي كانت بحاجة إلى الحماية وكانت مؤلفة من سبعمائة رجل، أضطر إلى تجنيد رجال المدينة وعددهم ثلاثمائة للدفاع على مكان يبلغ محيطه ثمانية كيلومتر ويضم ستمائة امرأة وطفل من الجنس الأبيض

مدينة مافيكنغ

وسبعة آلاف مواطن من الجنس الأسود وكلما قتل عدد من رجال المدينة ازدادت الأعباء على البقية، وفي عام ١٩٠٥وعندما كان قائد الجيوش البريطانية (روبرت بادن باول) يحاول فك الحصار عن سرية صغيرة من جيشه كانت محاصرة من قبل قبائل البوير في جنوب أفريقيا، لاحظ أنهم يستخدمون الأحداث في بعض الأعمال التي تحتاج إلى نشاط وخفة حركة أكثر من احتياجها إلى تمرين مثل الحراسة ونقل الرسائل، وتبادل المعلومات وهم فوق الأشجار مستعملين الأعلام الملونة حيث أعجب بادن باول بهذه الممارسات وقرر أن يقلد اولاد البوير، بجمع فتيان المدينة الصغار وتدريبهم ويجعل منهم وحدة صالحة ونافعة مثل تبليغ الأوامر وحمل التعليمات والقيام بأعباء الحفر والخدمة العامة مما كان له كبير الأثر في مساعدة الكتيبة في فك الحصار عن القرية الذي استمر سبعة أشهر.

لقد انتهت مهمة روبرت بادن باول، كقائد عسكري برتبة لواء حينما أحيل على التقاعد في ١٠ حزيران ١٩٠٧م ليتفرغ لدوره المقبل في الحياة المدنية، إذ التقى برجلين كان لهما تأثير على الحركة الكشفية في المستقبل.

الأول هو: سميث رئيس فرقة الفتيان البريطانية، وهو تنظيم شبه عسكري بملامح مستوحاة من المسيحيين يضم أربعمائة ألف عضو.

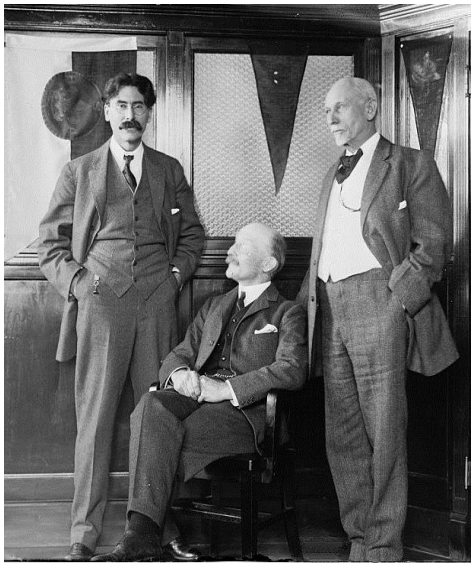

الثاني هو: أرنست توبسون من أوائل علماء البيئة في العصر الحديث، وهو يعرف الكثير عن الحيوانات والنباتات في الغابات الأمريكية، فأنشأ برنامجاً للشباب استوحاه من أعمال ومعيشة الهنود في الغابات، وقد استفاد روبرت من تجربة هذين الرجلين في اعتماد تربية جديدة مكتسبة من واقع الحياة تقوم على الطبيعة والهواء الطلق والاعتماد على النفس وتطوير المواهب عند الشباب.

وفي عام ١٩٠٧ قام بتدريب فرق من الفتيان على بعض الإسعافات الأولية والدفاع المدني عند إقامة مخيم تجريبي في إنجلترا خلال الأيام التسعة الأولى من شهر أغسطس في جزيرة براونسي وشارك فية ٢٠ من الفتيان، وبعد نجاح الفكرة قام بتوسيع الفئة العمرية فضم الأشبال.

بدأ بادن باول في نشر فكرته بعد نجاح مخيمه في براونس فعرض عليه أحد رجال الأعمال (أرثر بيرسون) في تمويل جولة يحاضر فيها في أنحاء المملكة المتحدة بهدف شرح ما يسمى (بالمشروع الكشفي)، ووضع بيرسون مقراً تحت بادن باول، واتفق على إصدار مجلة شهرية تحت اسم فتيان الكشافة (Scouting Boys) التي صدرت في ١٨ نيسان ١٩٠٨م(لندن)، وشارك بادن باول في زاوية فيها حتى وفاته سنة ١٩٤١م.

وكان من بين كتبه التي ساعدت على نشر الكشافة هو كتاب (فتيان الكشافة)، كشف فيها طرقا جديد لتدريب الأولاد تؤهلهم أن يكونوا مواطنين صالحين بتكوين شخصية سليمة، وقد وضع أمامهم المثل السامي مثل الأيمان بالله وخدمة الوطن والإنسانية وذلك عن طريق الألعاب وفعاليات ترفيهية تمارس في الهواء الطلق

والعراء وكمية كبيرة من الأعمال والأشغال المتنوعة والتجارب العلمية والنصائح المبسطة ليصبحوا أكثر صحة وقدرة في تدبير الأمور كل هذا بلغة مبسطة موجهة إلى الشباب مباشرة دون وسيط ومستندةً على كُتُبِه العسكرية السابقة بالتأثيرِ ودعمِ فريدريك روسل بيرنهام (رئيس الكشّافين في أفريقيا البريطانية) وقد ترجم هذا الكتاب إلى لغات عديدة أسهمت في نشر أفكار بادن باول في مختلف أنحاء العالم.

وفي عام ١٩٠٩ جاءت فكرة إقامة تجمع على مستوى وطني للتسلية والدلالة أمام الجمهور كيف أصبحت فكرة بادن باول بعد سنتين من إطلاقها، ولبى النداء أكثر من عش، حينها فوجئ بادن باول بمشاركة مجموعة من الفتيات في المخيم الكشفي بلا سابق دعوة، ونظراً لشدة حماسهن اضطر إلى تشكيل فرقة للمرشدات برئاسة أخته (اكس بادن باول) ثم انتشرت الحركة الكشفية لتشمل معظم دول العالم.

وفي عام ١٩١٠، بدأت منظمة جديدة (المرشدات)، أُنشِأتها أخت بادن باول للبنات (دليل حورية ومرشدة وفتاة كشافة ودليل حارس) بعد ذلك تم أنشاء فرق للفتيات بمساعدة زوجة بادن باول وأخته، بقي بادن باول وزوجته متراسين الحركة الكشفية حتى مماته، فقد اكتشف الشباب لذة التربية الذاتية دون أي ضغط أو عقاب، مقابل النجاح الذي حققته الكشفية ظهر الحاسدون من كل نوع، فظهرت تهم ألصقت بالكشفية آنذاك، فالتيار البريطاني أخذ يتهم بادن باول وأصدقاءه بمحاولة الرجوع بالشباب في بريطانيا إلى الأفكار المحافظة لمصلحة النظام السياسي الفاسد، والمحافظون دورهم اتهموا بادن باول بالاشتراكية استناداً إلى البند الرابع من قانون الكشافة الذي ينص على (أن الكشاف صديق الجميع وأخ لكل كشاف آخر مهما كانت مكانتهم الاجتماعية) وكذلك واجهت الكشفية معارضة قوية داخل

الكنائس تحت عنوان (غياب الهدف الديني في الكشفية)، ولتأكيد هذه الفرضية أثيرت قضية تخصيص صفحتين فقط من أصل ثلاثمائة في كتاب (الكشفية للشباب) لمعالجة الطابع الروحي للتربية الوارد تفصيله في الكتاب من موضوع (الواجب نحو الله) في الوعد الكشفي، وفي وجه المحاولات الحكومية والكنسية، بدأ مؤسس الحركة الكشفية يبشر بالاستقلالية منعاً لامتصاص الحركة لإبقائها قادرة على الحياة، والمشاكل التي واجهت الكشفية في بدايتها هي أمر طبيعي فكل مجتمع نجده يقف موقف المعارض أو الحذر من كل دعوة جديدة حتى يتبين موقفها بوضوح، وفي هذا الوقت كان هم بادن باول وأصدقائه معرفة أين هم من التطور الكشفي لأن الكثير من الحكايات غير الموثقة كانت تصل إلى مسامعهم عن نشاطات تمارس تحت علم الكشفية، لذا دعا في صيف عام ١٩١٣م لإقامة أول مخيم دولي في برمنجهام، ولاقى هذا التجمع نجاحاً باهراً وكبيراً حيث لبى الدعوة ثلاثون ألفا من الشباب معظمهم من المملكة المتحدة والبلاد التابعة لها بالإضافة إلى شباب من الصين والنمسا وهنغاريا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا وهولندا وفرنسا وبلجيكا والنرويج والسويد وأمريكا، وتمتع الجميع بمشاهدة النشاطات المتنوعة والمتعددة كما عرضت بعض الأعمال اليدوية مثل (النجارة والسباكة والكهرباء وخياطة وتصليح الثياب والأحذية) وغيرها من المهن، هذا بالإضافة إلى الألعاب الرياضية كالدراجات والمصارعة والجمباز وغيرها.

أقيم أول تجمع عالمي للكشافة في ٣٠ تموز عام ١٩٢٠م في المملكة المتحدة شاركت فيه ٣٦ دولة يتحدثون (١٨ لغة) واعتبر هذا الحدث أول إعلان عن اتجاهات الحركة الكشفية نحو السلام وأعلن عن اعتبار بادن باول رئيساً للكشافة العالمية وتأسس المكتب الدولي للكشافة والمرشدات وأصبح مقره في لندن برئاسة السير (روبرت بادن باول) وزوجته الليدي (اوليف بادن باول) وقد انتشرت الكشافة بعد ذلك في جميع أنحاء العالم بين الحربين العالمتين فيما عدا الدول الشيوعية حيث حظر نشاطها، والجدير بالذكر أن فكرة الحركة الكشفية لها أهداف تربوية، وسميت الكشافة بهذا الاسم من الكشف، لأن الغاية من الكشفية هي اكتساب القيم وتحصيل الأخلاق الحميدة والتربية الصالحة، تستخدم الحركة برنامج تعليمِي يعتمد على

النشاطات العملية في الهواء الطلق، من ذلك إقامة المخيمات، فنّ عمل الأخشاب، الألعاب المائية، السفر على الأقدام، التجوال، والألعاب الرياضية، خاصية الحركة المعترف بها هي زيّ الكشفي الرسمي، بنية إخفاء كلّ اختلافات المقامِ الاجتماعي وتحقيق المساواة، مع وشاح الرقبة وقبعة، تتضمّن الشارة الموحّدة المُتميّزة شعار الكشافة، بالإضافة إلى شارات الاستحقاق والرقع الأخرى.

في عام ٢٠٠٧، قدر عدد الكشَّافة بأكثر من ٣٨ مليون عضو في ٢١٦ بلد، الاتحادين الأكبر هما المنظمة العالمية للحركة الكشفية (دبليو أو إس إم)، للأولاد فقط ومنظماتِ مختلطة كالجمعية العالمية للمرشدات وفتيات الكشافة (Wagggs). تلك السنة صادفت الذكرى المئويةَ للكشَّافة حول العالم، وخطّطتْ المنظمات للاحتفال بالحدث.

ثانياً: <u>الحركة الكشفية في العراق</u>:

دخلت الحركة الكشفية إلى العراق إبان الحكم العثماني وكانت مقتصرة على بعض الفرق الكشفية المدرسية في بغداد، ومنها انتقلت إلى سائر المناطق بالعراق بدافع رغبة الشباب في الانطواء تحت رايتها، وقد حظيت الحركة في بدايتها بكثير من التشجيع حتى بلغت درجة مناسبة من الإعداد فنظمت برنامجاً للرحلات والزيارات للأقطار الشقيقة، إذ تشكلت أول فرقة كشفية في مدرسة السلطانية عام ١٩١٥م، واعتبرت هذه الفرقة بداية الحركة الكشفية في العراق ولم تكن الحركة نشيطة ومنتظمة آنذاك بسبب الحرب العالمية الأولى.

أما بعد الحرب وبالتحديد عام ١٩١٨م إذ وضعت الأسس التنظيمية في وزارة المعارف آنذاك حتى أصبح عدد الفرق الكشفية في بغداد فقط (١٧) فرقة مدرسية منها البارودية والحيدرية والفضل وباب الشيخ والكرخ ورأس القرية والكلدان الأهلية، وتوسع النشاط الكشفي حتى شمل كافة الألوية (المحافظات) العراقية، التي أخذت تمارس النشاط الكشفي على صعيده المحلي، وارتبطت كشافة العراق في مقر الكشافة البريطانية.

أقام أول مخيم كشفي تدريبي لمعلمي الكشافة في ٢٢ آب عام١٩٢٥م في منطقة الجادرية شارك فيه (٢٥ معلماً كشفياً) من جميع إنحاء العراق ولمدة ثلاثة أسابيع وكان آمر المخيم السيد جميل الراوي.

وفي صيف عام ١٩٢٧ افتتح المخيم التدريبي الكشفي دورته الثانية وقد اشترك فيه ضباط الدورة الأولى في الجيش العراقي لدراسة فن الكشافة، وعلى الصعيد الدولي فقد شارك العراق بالمؤتمر الكشفي الدولي الذي أقيم في لندن عام ١٩٢٩م، أما في فترة الثلاثينات من القرن الماضي فقد أقيم التجمع الكشفي في ملعب الكشافة، وفي بداية الأربعينيات أصاب الحركة شيء من الفتور جراء عوامل كثير من بينها الحرب العالمية الثانية، وفي سنة ١٩٤٩م شعرت وزارة المعارف أن هذه الحركة التربوية التوجيهية لا بد أن يعاد تنظيمها، فأوعزت إلى مديرية التربية البدنية بإقامة الدورات التحضيرية للقادة فأوفدت عشرة مدرسين إلى مركز التدريب الدولي بإنجلترا وبعد حصولهم على الشارة الخشبية عادوا إلى أرض الوطن وبدئوا بتنظيم دورات تدريبية للقادة، وشرعوا بتأليف فرق نموذجية في بغداد ومنها انتشرت في باقي المناطق.

وقد شارك العراق في المخيم العربي الأول الذي أقيم في سوريا (مخيم الزبداني) عام ١٩٥٤م، وتم انضمام العراق إلى المكتب الكشفي الدولي عام ١٩٥٦م، وتم تشكيل المجلس الأعلى للكشافة العراقية عام ١٩٦٥م، وتشكيل المجلس الأعلى للمرشدات العراقيات عام ١٩٧٠م بعد مشاركتهن في المخيم والمؤتمر العربي الأول للمرشدات عام ١٩٦٦م المقام في ليبيا.

استضاف العراق المخيم والمؤتمر العربي العاشر في الموصل (غابات الحدباء) عام ١٩٧٢م وفي تاريخ ١٧/٤/ ١٩٨٤م تم إلغاء نظام مجلسي الكشافة والمرشدات وتشكيل مجلس الكشافة والمرشدات العراقي.